رُمْحُ اللّهِ عَلَى قَرْنِ الشَّيطانِ

بقَلَم:

عبدِ اللّه القيسي

1437 هـ | 2016 م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبيِّ الأمين، الذي أدَّى الأمانة وبلَّغ الرسالة، بقولٍ فصلٍ، ووحي منزلٍ، وعلى آلِه وصحبِه الصَّادقين، المجاهدين لتبليغِ الدِّين كما جاء ونزل؛ **أمَّا بعد:**

الجزء الأول: اتِّهامُ الدَّولةِ الإسلاميَّةِ بالخارجيَّة:

فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**﴾ [ص: 23]، يقول الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿**وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**﴾: "وصار أعزَّ مني في مخاطبته إياي لأنه إن تكلم فهو أبين مني وإن بطش كان أشدَّ مني فقهرني"[(1)].

كيف لا؛ وهو يملك وسائل الإعلام من العربية ومجموعة الـ "MBC"، و37٪ من "العرب سات" و"روتانا"، و"LBC" و"المستقبل"، وغيرها الكثير، أفلا يكون أبينَ منِّي أن تكلم؟ كيف لا يكون أبينَ مني إن تكلَّم وهو بحشده الإعلامي يقتحم كلَّ بيتٍ بما فيها بيتي؟ كيف لا يكون أبينَ منِّي و"الحرمان" رهينتُه، كلَّما اعتلى العرشَ كبشٌ اتَّخذَ من حَرَمِ الله لعبةً، لكأنَّه مراهق يكتب ذِكرى عُبوره على حائطِ مدرسة؟ كيف لا يكون أبينَ وأعزَّ وقد كان له حلفاءُ ثلاثٌ، يؤكد التاريخُ أنَّ الدنيا تميل حيثما مالوا إلى ما شاء الله؛ (علماء السلطان، والأصفر الرَّنَّان، وطبائع الحيوان)؟

حبُّ السَّلامةِ والرُّكونُ للقويِّ أمرٌ ترسَّخ في نفوسِ أغلبِ البشر من القديم، الغرضُ منها البقاءُ، وتلك صفة يتَّفق بها الإنسانُ والحيوانُ إن كانت مطلقة. المصيبة حين يبرر الإنسان طبائع الحيوان، تبدأ القصة مع

(1) تفسير الطبري (21/ 178).

إقراره بالخطإ وتبريره، ثم تتطوَّر مع الوقت تدريجيًّا -مثل تدَّرُّج قومِ نوحٍ بالكفر- نحوَ شرعنةِ هذا الانحطاط من باب الضَّرورة، ثم الجواز وفي نهاية المطاف تجده واجبًا شرعًا، كيف؟ لا تدري.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 37]، كانت العربُ تلعبُ بالأشهُرِ الحُرُم بما يوافق مصالحَها، وعَدَّ اللهُ ذلك منهم تشريعًا وحكَمَ بكفرهم لذلك؛ فما بالك بالمتلاعبين في دين الله فيحلُّون الجهادَ عامًا ويحرِّمونه عامًا ليرضوا الطَّواغيت؟ أعني هنا كُلَّ من انتسب لأهلِ العلم، وسدَنَةِ الشَّريعةِ المناصرين لآلِ سعود المحاربين للمجاهدين عامَّة، والدَّولة الإسلاميَّة خاصَّة، أعني مَن رَمَى الدَّولةَ الإسلاميَّةَ بتُهمة الخارجيَّة واستحلالِ الدِّماء والإسْرافِ فيها، والعَمالةِ لإيران تارةً ولأمريكا تارةً، وأخوف ما أخاف أن تُرمى مستقبلًا بالتَّخابُر مع موزمبيق!

شُبَهُهم تلكَ لا تعدو عن كونِها شُبهًا لم تُعضدْ بقرينةٍ واحدةٍ غيرِ قابلةٍ لإثباتِ العكس، فكلُّها قابلةٌ لإثباتِ العكس، ناهيك عن الدَّليل القطعيِّ، ولكنَّهم هرعوا لإصدارِ الأحكامِ بحماسة.

الإشْكالُ -مثلًا- في اتِّهامهم لجنودِ الدولةِ بأنَّهم خوارج لا يعنون بذلك الخروجَ العمليَّ كالثورة والقتال؛ بل الخروجَ الاعتقاديَّ -التَّكفير بمجرَّد الذنب-، تكفير طائفة من الصحابة أبرزهم عثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم، فتجد أحفاد نافع ابن الأزرق ينسبون المجاهدين لدين جدهم، يا ترى.

هل يا ترى ما كانت أحكامُهم في مَن أقرَّ على نفسِه بكلِّ تلك التُّهم ومارسها جهارًا؟ هل كلُّ من قاتل سلطانًا حكم المسلمين مسلمًا كان أم كافرًا؛ خارجيٌّ بالمعنى الاعتقاديِّ؟ لن أستجلبَ تاريخَ الصحابة والسلف وقتالهم للسلاطين، لكني سأتبع قاعدة من فمك أُدينك، وأن ألزم الخصم بما ألزم به نفسه.

ابتداءً هذا خبر في جريدة الشرق الأوسط -وهي جريدة سعودية- عن تكريم الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود لأحفاد أهم خمس مؤرخين لنجد (بن لعبون، الفاخري، العيسى، بن بشر، البسام)[2]، أي أن هذه مصادر تأريخية رسمية، بسم الله نبدأ.

أولًا: الدولة السعودية الأولى:

1- وفي هذه السنة 1185 هـ أرسل الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير عبدالعزيز إلى والي مكة أحمد بن سعيد هدايا، وكان قد كاتبهما وطلب منهما أن يرسلا إليه فقيها وعالما من جماعتهما يبين حقيقة ما يدعون إليه من الدين، فأرسلوا إليه الشيخ عبد العزيز الحصين ومعه رسالة منهما هذا نصها: "بسم الله الرحمن الرحيم: المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين وأعز به دين جده سيد الثقلين، إن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة، وهذا هو الواجب على ولاة الأمور، ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم امتثلنا الأمر وهو واصل إليكم، يعلم الشريف أعزه الله أن غلمانك من جملة الخدام، ثم أنتم في حفظ الله وحسن رعايته"[3].

تأمل النص جيدًا، أليس فيه إقرار بسلطة العثمانيين الذين قاتلهم الشيخ لاحقًا؟ معك حق النص رغم وضوحه حمّال أوجه.

2- شاهد التالي، مقال في جريدة الرياض السعودية بعنوان "مآل المخطوطات النجدية بعد سقوط الدرعية"[4] لفهد بن عبدالله السماري جاء فيها:

---

(2) "الأعمدة الخمسة من مؤرخي السعودية يعودون إلى الحياة بمخطوطاتهم الأصلية"، الجمعة 01 صفر 1432 هـ - 7 يناير 2011 م العدد 11728.

(3) تاريخ نجد ابن غنام ص135 ط 3 سنة 1994 م تحقيق ناصر الدين الأسد.

(4) الجمعة 1 شعبان 1427 هـ - 25 أغسطس 2006 م - العدد 13941.

"في عام 1222 هـ – 1807 م استفتى الإمام سعود بن عبد العزيز علماء المدينة المنورة من الأحناف والمالكية والشافية والحنابلة في استخراج الأموال المودعة في الحجرة الشريفة لصرفها على أهل المدينة المنورة ومصالح الحرم –بسبب توقف بعث الصرة السلطانية إلى الحجاز– وشدة الحاجة والضرورة إلى الاستفادة من هذه الأموال وإنفاقها في مصالح المسلمين، لذلك قرر الإمام سعود فتح الحجرة النبوية الشريفة، وإخراج ما فيها".

أتفق معك بكل ما تقول بركاكة زعمي بخصوص الدولة السعودية الأولى، بل إني أتنازل عنه.

ثانيًا: الدولة السعودية الثانية:

صدر عن مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية في جامعة الكويت، وهي جهة رسمية لحليفة آل سعود كتاب للدكتور فيصل عبد الله الكندري بعنوان "الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء من وثائق الأرشيف العثماني"، ولن استشهد بأي حرف من كتاب البريطاني الصليبي "جون كيلي" "بريطانيا والخليج"، الذي يدلل بالوثائق عمالة هذه الدولة لحكومة الهند البريطانية.

النقولات الآتية فيها تدليل على العمالة للأجنبي وتولي الكفار والتبعية للدولة العثمانية التي خرج عليها سعود بن فيصل آل سعود عم "الإمام الملك المؤسس الموحِّد".

1– "أرسل والي بغداد إلى الباب العالي في الأستانة (إسطنبول) رسالة بتاريخ 12 شوال سنة 1283 هـ – 1866 م، يخبر فيها بأنه أرسل موظفًا من ولاية الحجاز إلى قائم مقام نجد عبد الله بن فيصل بن تركي التابع لولاية بغداد، للحصول على الرسوم السنوية، إلا أن الموظف لم يستطع الوصول بسبب انعدام الأمن بسبب الصراع بين الأخوين عبد الله وسعود، وتفيد الرسالة بأن عبد الله بن فيصل سبق أن طلب من والي الحجاز بعد وفاة والده فيصل سنة 1865 م أن يعين قائم مقام نجد، وقد بعث الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) بالسيرة الذاتية الكاملة لعبد الله بن فيصل للسلطان العثماني، وأن أمرا سلطانيًّا

قد صدر من الأستانة بجعل عبد الله قائم مقاما مكان أبيه في نجد، وتم إبلاغه به في شهر محرم 1284 - 1866 م"[5].

2- "بعث عبد الله بن فيصل سنة 1866 م إلى والي بغداد نامق باشا يطلب نجدته لمواجهة تمرد أخيه سعود، فتردد نامق باشا في مساعدته، ثم أرسل عبد الله مرة ثانية يطلب المساعدة من الوالي الجديد أحمد مدحت باشا، الذي أعد تقريرا للأستانة يشرح فيه خلفيات الصراع بين الأخوين، ويؤكد فيه طلب سعود من إمام مسقط المدعوم من الإنجليز مساعدته، وكذا تدخل بريطانيا عن طريق شيخ البحرين لتقديم الدعم لسعود ليصل إلى السلطة، وقد حذر مدحت باشا من خطورة نجاح بريطانيا في مخططها بدعم سعود، إذا سيفتح الطريق لها للتدخل في شئون المنطقة، وأكد مدحت باشا بمذكرة ثانية كتبها للصدر الأعظم بناء على تقرير وصله من قائم مقام الكويت عبد الله الصباح يؤكد فيه أن سعودا وإمام مسقط قد أعدا قوة أكبر من قوة عبد الله بن فيصل بدعم بريطاني، حيث صاحبها قيام ست قطع بحرية بريطانية بالتجوال في سواحل الأحساء"[6].

3- في برقية مرسلة من ولاية بغداد إلى الأستانة في 21 ذي القعدة 1286 هـ - 1869 م تأكيد تدخل بريطانيا في عمان وهيمنتها عليها، وخلعها لشيخي البحرين محمد بن خليفة ومحمد بن عبد الله بعد رفضهما التبعية لبريطانيا، ونفيهما إلى "بومبي"، وتنصيب عيسى بن علي بن خليفة شيخا للبحرين، وتدخل بريطانيا لدعم سعود بن فيصل في صراعه مع أخيه عبد الله لبسط نفوذ بريطانيا على نجد كلها[7].

(5) الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء صـ 20 من وثائق الأرشيف العثماني، فيصل عبدالله الكندري.

(6) المصدر السابق صـ22.

(7) المصدر السابق صـ50.

ثالثًا: الدولة السعودية الثالثة الحالية:

اعتمدت فيها على مصدرين باعتبارهما رئيسيين كحال الشريعة في دساتير دول الخليج، والتي بالمناسبة لا يحكم البلعام "صالح الفوزان" في تسجيل صوتي له على حكامها بالكفر لتحكيمهم غير الشريعة لأنه –ما يدري بهم– لكنه يوجب طاعتهم رغم أنه ما يدري بهم. عاصر مصنفا المصدرين نشأة تلك الدولة، وهما:

الأول: تحفة المشتاق لابن بسام المتوفي عام 1927 م.

الثاني: تاريخ الكويت لعبد العزيز الرشيد المصنف عام 1926 م.

وكلا الرجلين مقدَّم عند ابن سعود، فالأول من مؤرِّخيه وتربطه علاقةٌ به، والثاني موفد ابن سعود في إندونيسيا، وكلاهما هلك ونشر كتابه في حياة عبد العزيز بن سعود، بسم الله نبدأ.

1- "كتب عبد الرحمن بن سعود سنة 1902م، كتابًا إلى نقيب الأشراف في البصرة رجب النقيب، عند خروجه من الكويت إلى الرياض، يشرح فيه أسباب ما جرى، جاء فيه "ونحن خدام محسوبون على الدولة العلية، ولم نلتجئ إلى أحد إلا إلى الله تعالى، ثم إلى ظل عدالة أمير المؤمنين، أدام الله مجده، ونحن في كل الأحوال نؤدي الخدمات لحضرة أمير المؤمنين، باذلين الجد والاجتهاد فيما يحصل به رضاه، منقادين إلى أوامر الدولة العلية، فنرجو من مراحم وتفضلات حضرة أمير المؤمنين حلول أنظاره علينا، ورفع تعديات ابن رشيد، وإجراء ما تفضل به من المعاش". لا! ويطلب شرهة من السلطان"[(8)].

2- "وفي سنة 1904م في ثالث ذي الحجة من سنة 1322هـ وصل عبد الرحمن بن فيصل هو ومبارك الصباح شيخ الكويت إلى الرافضية قرب بلد الزبير لمواجهة والي البصرة أحمد مخلص، فخرج إليهم الوالي وأخبرهم بأن أمر نجد الآن راجع إلى المشير أحمد فيضي . الذي توجه قبل شهر من السماوة إلى القصيم ومعه ستة طوابير عسكر . وقال له لا بد من اجتماعك معه أنت يا عبد الرحمن في القصيم، وهناك تصلح جميع أحوال نجد. فرجع عبد الرحمن ومبارك الصباح إلى الكويت، ثم توجه عبد الرحمن من بندر

(8) "تاريخ الكويت"، الشيخ عبد العزيز الرشيد ص179.

الكويت إلى الرياض ومنها إلى القصيم لمواجهة المشير أحمد فيضي، واجتمع معه هو وأمراء القصيم، وتفرقوا دون أن يحصل لهم منه مساعدة، وتوجه المشير إلى المدينة المنورة ثم إلى اليمن من أجل إخماد ما فيه من الفتن"[9].

3- "وفي سنة 1906 م أرسل أمير العسكر العثماني في نجد حسن شكري ورد فيه: "جناب المكرم عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل، نفيد جنابكم أن جلالة الخليفة الأعظم بلغه اضطرام الفتنة في نجد، وأن يدا أجنبية محركة لها، فلهذا السبب بعثني إليكم حقنا للدماء ومنعا لتدخل الأجنبي في بلاد المسلمين، وأنا أنذرك إذا لم تأتنا وتبين الأسباب التي حملتك على إضرام هذه الفتنة بدون مراجعة أي ولاية من ولايات الدولة، واقتصارك على مراجعة صاحب الكويت وأخذ المدد منه، وأنت تعلم أنه خارج عن طاعة الدولة ناكث لعهد الخليفة وخائن له في بلاده، وما كان ينبغي منك الالتئام معه"[10].

أرجو التدقيق معي: كل النقول الواردة المحددة المصادر الغرض منها إثبات خارجية آل سعود وفق المنطق "البلعامي المدخلي الجامي"، على الأقل في الدولة السعودية الثالثة، فمن تلك النقول ثبت قطعًا تبعية ابن سعود للعثمانيين، كما ثبت استفاضة حربه لهم؛ **يعني خروجه عليهم**.

ملاحظة: كتب البريطاني "هنري ألس" في تقرير أعدته حكومة الهند البريطانية في ثلاثينيات القرن التاسع عشر تعليقًا على زحف محمد علي باشا نحو الشام ما جاء نصه: "إنه ليس من مصلحة الدولة الأوربية الحاكمة في الهند أن تقوم على أرض الفرات دولة إسلامية قوية"، ثم يعلل ذلك بقوله: "إن أي دولة تنشأ هنا سيمتد نفوذها بلا شك إلى جميع أقطار الجزيرة العربية، وقد تصبح في وقت قصير دولة بحرية هامة".

هذا عندما كانت الهند بتوابلها محور العالم والجزيرة العربية مجرَّد ممرٍّ؛ كيف الحال إذًا في زمن النفط الذي تطفو عليه الجزيرة؟

(9) "تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق"، ابن بسام ص396.

(10) "تحفة المشتاق"، ابن بسام ص398.

الخلاصة: اللهم انصر أمير المؤمنين أبا بكر البغدادي، اللهمَّ وفِّق وزراءَه وولاته على الأمصار، واحفظ اللهمَّ جندَه البواسل. دولة الخلافة باقية، باقية، باقية، وتتمدَّد.

الجزء الثاني: اتِّهامُ الدَّولةِ الإسلاميَّةِ بالعَمالةِ:

لتوه اقتحم السبعين خريفًا بأمل ابن العشرين، أراه الآن بملامحه الضبعية وجسده الهزيل المسكون بالشيطان يقلِّب سيجارته بين أصابع يده المعرورقة التي تبدو كقطعة خشب رطبة متشققة، يأمر كاتبه "البهادر ملا صالح الملا" وهو ينفث دخان سيجارته أن يكتب لابن سعود ما يلي: "وكل من دخل تحت نظرهم اعتز واستراح، مثلما تشوف نحن وراعي البحرين وعمان، ورفيقهم عامر وعزيز، ويا ولدي يا عبد العزيز لو يطلبون منا واردات الإحساء والقطيف كان نعطيهم، لأجل عز الرأس والراحة، وخلنا نستريح من هالذاهبين".

لم يكن ابن سعود بحاجة لمثل تلك النصيحة ليقف مع الإنجليز ضد العثمانيين أو الذاهبين الزائلين كما وصفهم "مبارك" –طاغوت الكويت وقتها– في خطابه، لقد نشأ عبد العزيز في كنف "مبارك الصباح"، وتشرَّب منه فنون الكفر، حتى برَّ معلمه الذي هلك وهو مرعوب من زحف جيوش تلميذة نحوه عام 1915 م.

عن نفسي لم أجد في التاريخ الإسلامي الحديث أخبث وأدهى من عبد العزيز بن سعود في جزيرة العرب، ومحمد علي باشا فرعون مصر الحديثة، بل إنَّهما من النوادر في تاريخنا قاطبةً. يقول العراقي ابن العراقية أبو الطيب المتنبي:

خُـذ مـا تَـراهُ وَدَع شَـيئًا سَمِعـتَ بِـهِ ... في طَلعَةِ الشَمسِ ما يُغنيكَ عَن زُحَلِ
وَقَـد وَجَـدتَ مَجـالَ القَـولِ ذا سَـعَةٍ ... فَـإِن وَجَـدتَ لِسـانًا قـائِلًا فَقُـلِ

هذا الخطاب ينفع مع الإنسان المتجرِّد الموضوعي، وهو عزيز نادر في زماننا كأن تقول عراقي لا يشرب "الجاي" (الشاي)، وأنا هنا أوجه خطابي لهذا العزيز النادر –مو العراقي اللي ما يشرب جاي– ومستعد لمواجهة تلاميذ الثعلب، حين قال الثعلب عن عنقود العنب إنه حامض لأنه لم يصل له، كان يبرر –يشرعن– عجزه ويدعي العفاف عنه لعلة في العنب لا علةٍ فيه هو معاذ الله، كانت تلك الحادثة "العِنَبيَّة" حجر الأساس وفق "الميثولوجيين" العرب في مدرسة اللباقة النفسية والخدع الجماهيرية، وأزيد أنا العبد الفقير

على قولهم، والكثير من الفتاوى النجدية البلاعمية، وككثير من النظريات طوَّرت نظرية الثعلب والعنب الحامض في استخدامات كثيرة، فلم تعد قاصرةً على مداراة العجز بادِّعاء العفاف، بل أصبحت مداراة كل شيء بادِّعاء أي شيء، وما تسجيل العرعور التآمري ضدَّ الدَّولة الإسلاميَّة -وقت تمدُّدها للشَّام المشهور-، كلب الرياض العقور عنك ببعيد!

الشيء بالشيء يذكر، لاحظ معي -يا رعاك الله- أنَّ العرعور اعترف بصحة التسجيل وقتها -ويقولون الدولة مخترقة- لكن كان له في المسألة تأويل، وهنا مربط الفرس.

في كتب القانون يقرر مقعِّدوه عدم جواز تفسير النص الصريح، لأنه تحايل على النص، بل إن تفسير صريح النص تشريع مبطَّن جديد بغير طرقه الدستورية.

القاعدة السابقة منطقية وكما هو معلوم أن اليهود استخدموها كطريقة من طرق التحريف، فهل نحن بمفازة من مشابهتهم؟ وافهم يا فهيم!

أكرر هنا ما سبق في الجزء الأول بما ألزمت نفسي به من قواعد كإلزام الخصم بحجته ومن مصادره، كما أكرر أني أدين الله بكل التأصيلات العقدية التي تقررت من سلف أمتنا، ومن جملتهم أئمة الهدى من أهل نجد، وإن تسلسل من أعقابهم حاخامات يتلون القرآن.

لم يعدم المستعمر لبلادنا السند من الكهنة المتمسحِّين بالدِّين، فالفرنسيون مثلًا استفادوا من الطريقة التيجانية، خصوصًا في حقبة شيخة الطريقة الفرنسية "مدام أورلي"، زوجة شيخي الطريقة، والتي كُرِّمت من حكومة بلادها لذلك.

تقول "المس بيل" أو "الخاتون" صانعة الملوك في المزارع العربية في كتابها "فصول من تاريخ العراق"[11]، عن نقيب أشراف بغداد عبد الرحمن الكيلاني السني والمرجع الشيعي اليزدي ما يلي: "كما إن الذين اشتركوا منا بالدراما سوف لن ينسوا العضد والمؤازرة اللذين قدمهما لنا، كل من النقيب والسيد محمد كاظم اليزدي

(11) صـ471.

على أن فائدة الدرويش مثل فائدة المجتهد، أي في هذا الشأن لها حدودها، حيث لم يكن بوسع كل منهما أن يكون في المقدمة، أو أن يجازف بتحمل النقد".

عن نفسي لا إشكال معي في من لم يلزم بنفسه بعقيدة الولاء والبراء، لكن المشكلة كل المشكلة مع من أصَّل ونظَّر ثم عند واقعه تقعَّر، يتَّهمون الدَّولةَ الإسلاميَّةَ بالعمالة لإيران ومن قبلها أمريكا، وأكرر زعمي الأول أنَّهم لا يملكون قرينةً -مجرد قرينة- غير قابلة لإثبات العكس، لكني سأسلِّم بزعمهم وأطالبهم بالتزام ذات الحكم في من ثبتت عمالته بشهادتهم، بل بإقراره فما رأيهم يا ترى؟

أ- ما حكم من يتقاضى راتبًا من الكفار نظير حربه للمسلمين؟ أو من ثبتت لهم شبهة إسلام؟

1- بريطانيا تقرُّ بأنَّها كانت تدفع مرتبًا للإمام "حامي بيضة الإسلام" عبد العزيز بن سعود[12].

2- طلال بن عبدالعزيز آل سعود ابن الإمام، يعترف بتقاضي والده لراتب من إنجلترا[13]، الطريف أن طلال أجاب أحمد منصور حين سأله الأخير عما إذا كان ذلك شراء لولاء الملك أجابه بـ "ممكن"، كأني بالمدخلي والفوزان شاقًّا جيبه ويصيح: إلا ولي الأمر يا خارجي!

ب- ما حكم من عاهد الكافر على السلم وعلى مظاهرته إيَّاه في قتال المسلمين، وأن يكون تابعًا لهم لا ندًّا، فيقال حليف، وأن يكون كلاهما مددًا في حربه ضد المسلمين؟

1- ذكر البسام في تاريخه "تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق" في حوادث سنة 1329هـ - 1911م: "وفيها عقدت معاهدة بين الإمام والإنجليز على أن يحتل الإمام الأحساء والقطيف ودارين والعقير، ويمنعون عنه الإنجليز أي دولة تأتيه من البحر، ولقاء ذلك يكون تابعًا لهم، ولا يحدث محاربات دون علمهم ولا يحارب بدون إذنهم، ولهم حق التفتيش على المعادن في جزيرة العرب واستخراج ذلك، وإذا أراد الإنجليز أن يسير لحرب أي جهة يسير لها وهي تمده".

---

(12) خبر بعنوان: "وثيقة بريطانية: مرتبات الإنجليز للحكام العرب مقابل السيطرة على شعوبهم والإنجليز استخدموا عائدات الحج كـ(رشاوى) عام 1920"، alhikmeh.org بتاريخ: 2013/03/02 م.

(13) فيديو في موقع "يوتيوب" يحمل هذا العنوان، تم تحميله في: 2011/04/03 م.

للعلم كانت الإحساء خاضعةً لسلطة عثمانية مباشرة وتابعة إداريًّا لولاية البصرة، لاحظ معي قوله "تابعًا لهم"، ولاحظ كذلك آخر ما ورد في الفقرة، لتعلم فداحة الأمر وقوَّة النقل[14].

ت- ما حكم من دخل في حكم النصارى وسرَّه لو يرى راياتِهم تعلو بدلَ راية المسلمين؟

يوسف بن علي الثقفي، أستاذ التاريخ الحديث بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بجامعة أم القرى السعودية، في 30 شوال 1430 هـ عن تقرير لضابط المخابرات البريطاني شكسبير: "إن الإمام عبد العزيز ليس لديه طموحات في توسيع أراضيه شمالًا أو غربًا أو في أي اتجاه ما عدا الأحساء والقطيف، وأنه لا يمانع في أن يرى العلم البريطاني يرفرف على موانئ الخليج بدلًا من العلم العثماني".

في هذا البحث المكون من 14 صفحة يطنب الدكتور في الثناء على حكمة الإمام عبد العزيز في تطلعه للقضاء على النفوذ العثماني لصالح النفوذ الصليبي البريطاني، لاحظ معي عزيزي هذا كلام دكتور في جامعة أم القرى السعودية؛ لا الجامعة المستنصرية في بغداد.

هنا لا بدَّ من الإشارة لموضوع بحثه، وهي اتفاقية دارين أو الاتفاقية الإنجلونجدية، يكفيك فقط أن تقرأ بنودها لتعلم من العميل، ثم استفتهم عن حكمه، ويا ليت لو تلزمهم بالأحكام المقررة في الدرر السَّنِيَّة.

ث- ما حكم الشرع الحنيف في الحاكم الذي يقرُّ بولاية الكفار عليه؟ الحاكم الذي يقرر ولاية الكفار الغاصبين لديار المسلمين على المسلمين ذاتهم، واعتبارهم رعايا ويقرِّر لهم حقوقًا في أموالهم؟ الحاكم الذي يعطِّل جهاد الكفار ويتعهد للكفار بعدم دعم من يجاهدهم أو يوفر لهم ملاذًا آمنًا ويلتزم بحربهم؟ الحاكم الذي يقرُّ ويعترف بالوجود الصليبي في جزيرة العرب ويتعهد بعدم مقاومته؟

واللهِ الذي لا إله إلَّا هو، ما قصدت من قولي فهد بن عبد العزيز آل سعود سنة 1990 م، بل أعني جالوت النجدي الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود سنة 1927 م.

(14) ارجع للجزء الأول من المقالة لتعرف من هو "ابن بسام" هذا وما مكانته من عبد العزيز.

طالع نص اتفاقية جدة 1927 م التي أعقبها قتال عبد العزيز لإخوان من طاع الله، وهذه الاتفاقية لا حاجة للتدليل عليها من مصادرهم، لأنها التي بموجبها تمَّ الاعتراف المتبادل بين عبد العزيز وأشراف الأردن والعراق، ورسمت بها الحدود، فهي مستفيضة عصيَّة على الإنكار وبنودها كالآتي:

"جلالة ملك بريطانيا وأيرلندا والممتلكات البريطانية من وراء البحار وإمبراطور الهند من جهة، وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة أخرى.

رغبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما، وتوثيقها وتأمين مصالحهما وتقويتها؛ قد عزما على عقد معاهدة صداقة، وحسن تفاهم، لذلك أوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة السير جلبرت فلكنجهام كلايتن مندوبًا مفوضًا عنه، وانتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز نجله ونائبه في الحجاز مندوبًا مفوضًا عنه.

بناءً على ما تقدم، وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادهما والتثبُّت من صحتها، قد اتفق سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز وحضرة السير جلبرت فلكنجهام كلايتن على المواد الآتية:

- (المادة الأولى) يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لممالك صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها.
- (المادة الثانية) يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية، وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر، وبأن يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلم والسكينة في بلاد الفريق الآخر.
- (المادة الثالثة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل أداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين، والأشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية من المسلمين أسوة بسائر الحجاج، ويعلن جلالة الملك بأنهم يكونون آمنين على أموالهم وأنفسهم أثناء إقامتهم في الحجاز.
- (المادة الرابعة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين آنفًا، والذين ليس لهم في بلاد جلالته أوصياء شرعيون

إلى المعتمد البريطاني في جدة، أو من ينتدبه لذلك الغرض؛ لإيصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين، بشرط أن لا يكون تسليم تلك المخلفات إلى الممثل البريطاني إلا بعد أن تتم المعاملات بشأنها أمام المحاكم المختصة وتُستوفى عليها الرسوم المقررة في القوانين الحجازية أو النجدية.

- (المادة الخامسة) يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية أو النجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة البريطانية، أو البلاد المشمولة بحماية جلالته، وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية، ولجميع الأشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، على أن تراعى قواعد القانون الدولي المرعي بين الحكومات المستقلة.
- (المادة السادسة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على علاقات الود والسلم مع الكويت والبحرين ومشايخ (قطر) والساحل العماني الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية.
- (المادة السابعة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقيق.
- (المادة الثامنة) على الفريقين المتعاقدين إبرام هذه المعاهدة، وتبادل قرارات الإبرام بأقرب وقت، وتصير المعاهدة نافذة اعتبارا من تاريخ تبادل قرارات الإبرام، ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ، وإن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر أنه يريد إبطال المعاهدة؛ تبقى نافذة، ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضي ستة أشهر من اليوم الذي يعلن فيه أحد الفريقين إبطالها للفريق الآخر.
- (المادة التاسعة) تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في 26 ديسمبر سنة 1915 م يوم كان جلالته حاكمًا لنجد وما كان ملحقا بها؛ إذ ذاك – ملغاة ابتداء من تاريخ إبرام المعاهدة.
- (المادة العاشرة) دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والإنكليزية، وللنصين قيمة واحدة، أما إذا وقع اختلاف في تفسير أي قسم منها؛ فيرجع إلى النص الإنكليزي.

- (المادة الحادية عشر) تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة.

وقعت هذه المعاهدة في جدة، يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة 1345 هـ - 20 مايو 1927 م.

جلبرت فلكنجهام كلايتن - فيصل بن عبد العزيز آل سعود". انتهى اقتباس المعاهدة.

أتعرفون من هو "كلايتن" هذا؟ إنَّه قائد مكتب المخابرات البريطانية في مصر الذي قال: "إن الهند البريطانية مسكونة بهاجس الخوف من دولة عربية موحدة، وهذه الدولة لن تظهر إلى الوجود ما لم تبلغ الحماقة بنا حد خلقها".

ما سبق يكفي ولن أتطرَّقَ لعلاقة "الأعور النجدي" بأمريكا، وسماحه لهم بإقامة قاعدة جويَّة في الظهران عام 1945 م حتى يومنا هذا، عدا عام 1964 م لأسباب الخلاف بين الإخوة سعود وفيصل ابنَي عبد العزيز آل سعود على الحكم.

على الهامش: أوردت "الميس بيل" في كتابها فصول من تاريخ العراق صـ80 الآتي: "قامت السلطات العسكرية البريطانية التي تسيطر على البصرة بتكريم ابن سعود ودعوته لزيارة مراكز قيادة الجيش البريطاني في الشعيبة، ثم طلبت الحكومة البريطانية هناك أن يوجه كتابًا منه يناشد فيه عجمي السعدون شيخ قبيلة المنتفق بالوقوف مع بريطانيا والعمل على تحرير العرب من الدولة العثمانية".

فرد عليه عجمي برسالة جاء فيها: "من عجمي السعدون إلى عبد العزيز السعود أخي المبجل، من المعلوم أن موقفي هو موقف من يسعى لمرضاة الله العلي العظيم، وأي ولاء أعظم من أن أسارع بإخلاص إلى ما أمرني الله به في كتابه المجيد بالجهاد ضد الكافرين أعداء الله وأعداء الدين، ولا يمكن أن تأخذني في الله لومة لائم، أنا الذي أسعى لحب الله وحماية بلادنا من أن يدنسها الكافرون، وقد كان لي أمل كبير في تدينكم وحميتكم العربية أن توافقوني في آرائي وتؤيدوني فيما أقوم به، من أجل إعلاء كلمة العرب، وليس هذا بفضل الله تمردا، وإذا كانت الحكومة التركية تذب عن حوزة الإسلام فهي عضيدي وعضيد قبائلي،

وقد أعطيت عهدا بخدمة ديني وحكومتي وحميتي، وإذا حاججتموني بترك الدين جانبا فإن الواجب يدعوني إلى الوفاء بالعهد الذي قطعته على نفسي لحكومتي وهذا أول ما تقتضيه شيمة العرب".

وبعد هذا نقول: صاحب الحق يكفيه دليل، وصاحب الهوى لا يكفيه ألف دليل.

ملاحظة: يقول ابن خلدون في مقدمته: "العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوَّة أو ولاية، أو أثر عظيم من الدِّين على الجملة، والسبب في ذلك أنَّهم لخلق التوحش الذي فيهم؛ أصعبُ الأمم انقيادًا بعضهم لبعض، للغلظة والأنفة، وبعد الهمة، والمنافسة في الرئاسة، فقلَّما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان فيهم النبيُّ أو الوليُّ الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق؛ تم اجتماعهم، وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس لقبول الحق"[(15)].

الخلاصة: اللهم انصر أمير المؤمنين أبا بكر البغدادي، اللهمَّ وفِّق وزراءَه وولاته على الأمصار، واحفظ اللهمَّ جندَه البواسل. دولة الخلافة باقية، باقية، باقية، وتتمدَّد.

(15) مقدمة ابن خلدون (1/ 200، 201).

الجزء الثالث: الدَّافعُ الاجتماعيُّ لعداء الدَّولة الإسلاميَّة:

"كان رجلًا خفيفًا، حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر"[16]، تلك الأوصاف المقتضبة هي كل الكلمات التي أسعفت العباس بن عبد المطلب في وصف عمرو بن هشام المخزومي أو كما نعرفه منذ الصغر بأبي جهل.

كان أبو جهل قرينَ النبيِّ عليه الصلاة والسلام من حيث السِّن، فقد دلَّ عليه الصلاة والسلام عليه حين أمر الصحابة بعد بدر بالبحث عنه بين القتلى بجرحٍ في ركبته، ترك أثرًا سببه دفع الرسول له حين كانا غلامين في مكة، العجيب في الأمر أنَّ أبا جهلٍ هذا بين يديه "خارطة الطريق" (كم أمقت هذا التعبير الوضيع)، خارطة الطريق الموضحة للأسباب الاجتماعية والنفسية لعداء الدولة الإسلامية، كيف ذاك؟

تأمَّل يا رعاك الله، قال تعالى: ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأنعام: 33، 34]، ارجع إلى تفسير ابن كثير لتلكم الآيات الشريفة.

لكن ما يهمني حقيقةً ثلاث أحداث وردت في تفسيره لتلك الآيات وهي:

1- "أَنَّ النَّبِيَّ عليه الصلاة والسلام لَقِيَ أَبَا جَهْلٍ، فَصَافَحَهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَلا أَرَاكَ تُصَافِحُ هَذَا الصَّابِئَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّهُ لَنَبِيٌّ، وَلَكِنْ مَتَى كُنَّا لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَبَعًا؟ فَتَلا أَبُو يَزِيدَ: ﴿**فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ**﴾ [الأنعام: 33]"[17].

2- قال أبو جهل للنبي: "إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله: (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)، ورواه الحاكم"[18].

---

(16) السيرة النبوية (3/ 155).

(17) تفسير ابن كثير (3/ 251).

3- وروى ابن جرير من طريق أسباط عن السدي في قوله: ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ [الأنعام: 33]، لما كان يوم بدر قال الأخنس بن شريق لبني زهرة: يا بني زهرة، إن محمدا ابن أختكم، فأنتم أحق من ذب عن ابن أخته، فإنه إن كان نبيا لم تقاتلونه اليوم؟ وإن كان كاذبا فأنتم أحق من كف عن ابن أخته، قفوا هاهنا حتى ألقى أبا الحكم، فإن غلب محمد رجعتم سالمين، وإن غلب محمد فإن قومكم لا يصنعون بكم شيئا، فيومئذ سمي الأخنس، وكان اسمه أبيا، فالتقى الأخنس وأبو جهل، فخلا الأخنس بأبي جهل، فقال: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب، فإنه ليس هاهنا من قريش غيري وغيرك يستمع كلامنا؟ فقال أبو جهل: ويحك، والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فذلك قوله: ﴿**فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾[19].

من الأحداث الثلاث السالفة؛ يتبين لنا أنَّ أزمة أبي جهل الحقيقية لا علاقة لها بالرسالة من قريب أو بعيد، بل في أثرها الاجتماعي والسياسي، "لكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟"، وقوله "ولكن متى كنا لبني عبدمناف تبعًا"، حقيقةً إنَّ أبا جهل رغم كفره أشرف بكثير من الحاخامات السعودية، وقساوسة السرورية والإخوانية وضباع الجهاد وأدعيائه، وخاصة القواعدجية الجدد والمتاجرين بدماء الشهداء، إذ إنَّه وفي أكثر من موضع جهر بحقيقة عدائه ولم يبطنه أو يظهره بغير مظهره، على عكس تلك القاذورات سالفة الذكر.

تناول علماء الاجتماع في بحوثهم محورًا مهمًّا في علمهم، وهو أثر البيئة الاجتماعية في الانتماء السياسي والإيمان الفكري أو العقدي، فمثلًا يقرر "كارل ماركس" أنَّ الانتماء الطبقي يحدد بدوره الانتماء السياسي، منكرًا أثر الإيمان المجرد بالقيم والأفكار بعيدًا عن الانتماء الطبقي، كما يقول "ماكس ڤيبر"، ويؤكد تاريخنا أن الانتماءات الاجتماعية بكافة أشكالها، قبيلة، مدينة، محلة، بلد؛ ذات أثر فعَّال في الانتماء السياسي

=

(18) المرجع السابق.

(19) تفسير ابن كثير (3/ 252).

والفكري، بل إنَّ "ابن خلدون" أصَّل لها في مقدمته حين تناول نشأة الدولة بفكرة العصبة، فالأمويون عصبتهم إقليمية قبلية (يمانية الشام)، والعباسيون عصبتهم عرقية (الموالي والأعاجم من فرس وترك)، والمرابطون عصبتهم قبلية (صنهاجة)، والموحدون عصبتهم قبلية (كدامة)، والصفويون عصبتهم (الأتراك الأذر)، وهكذا.

ومن الطرائف في هذا الموضوع، قصة أوردها "ابن الأثير" في تاريخه عن شاب غساني من أهل الشام في صفين كان يعتقد كفر أهل العراق –كما هو حاصل عند كثيرين اليوم–، وكان فاتكًا شديد القتال، فلما استيقن حقيقة أهل العراق من أحدهم اعتزل القتال، فصاح به قومه "خدعك العراقي"[(20)].

نعم عزيزي، إنَّ عراقية الدَّولة الإسلاميَّة ابتداءً كما يصور الإعلام من أهم أسباب العداء المحموم لها لدى عبيد الوطنيات وأنصار الجاهلية، أضف إلى ذلك الحسد وحظوظ النفس لدى بعض قادة التنظيمات الجهادية، ممن جعل التنظيمات غايته لا وسيلة لإقامة الدِّين في الأرض.

الهكروفوبيا:

منذ نشأة الدولة القطرية الحديثة في العالم الإسلامي –نسميها دولًا مجازًا لا على الحقيقة–؛ والعداء خفي بين عرب الشمال سكنة الهلال الخصيب ووادي النيل (العراق والشام ومصر)، وعرب الجنوب في الجزيرة، لعوامل كثيرة، أهمها الأيادي "الصهيوماسونية" في إشعال النعرات القبلية، ليهيمن عملاؤهم على مقدرات الأمة (فرِّقْ تَسُدْ)، فعرب الشمال يعتقدون أنَّهم عقول جبَّارة وجيوب خوَّارة، وعرب الجنوب يعتقدون أن إخوتهم في الشمال طامعين بهم حاقدين عليهم لشرف نسبهم –كأنهم انفردوا بالنسب– وحقول نفطهم، مما ولَّد احتقارًا متبادلًا وخوفًا جنوبيًّا من الغول الشمالي المتوثِّب.

يعتقد الكثير من بني عمومتي في الجزيرة أنَّ عرب الشمال لا أنساب لهم ولا أحساب، بل إن أحدهم نقل لي عن شيخ نجدي أنَّ بني تميم ثابتو النسب هم بطون بني تميم الخمسة النجدية فقط.

(20) الكامل في التاريخ (2/ 72).

طفق بعض أهل نجد وملحقاتها ككثير من العربان على تسمية العراقيين حصرًا **بالهكرة** أو الخكرة، احتقارًا بمعنى المتسلِّل أو المخترق، فقد أرهق العراقيون الإنجليز بأعمال السلب إبان ثورة العشرين، فلقَّبوهم بالهكرز وهو تحريف للمفردة الإنجليزية "**hacker**"، ثم ما لبث البعض من إخوتنا النجديين أن أضافوا تعديلاتهم على مضمون الوصف، كعادتهم في كلِّ شيء لا مع كتاب الله وحده.

لم يقتصر هذا الاحتقار الاجتماعي على العراقيين وحدَهم، بل طال النجديين من سكنة العراق كأبناء مدينة الزبير وأهل الكويت، باعتبار أنَّ الهكرة أو الخكرة عديمو الشرف ولا يمتون للدِّين بصلة، على العكس من أحفاد الصحابة أبناء نجد المطهَّرة!

يروي لي أحدُ الأصدقاء أنَّ قطيعةً دامت أربعين سنة بين أربعة إخوةٍ نجديِّين، قرَّر أحدهم الهجرة للزبير، وسبب القطيعة أنَّ أخاهم لحق بالكفار بتلك الهجرة –نعم الزبير دار كفر طارئ كحال معظم ديار المسلمين بما فيهم الكويت والجزيرة، لكن ذلك لا ينفي إسلام أهل الزبير وتلك الأقطار–، حتى عزمت أختهم وقد شارفت على الموت على أن تزور أخاها، وحين سمعت الأذان للصلاة في الزبير، قالت بحرقة "مير أنتو الكفار" تعني إخوتها –غفر الله لها ولهم–.

مع مرور الوقت أصبح لهذا الاحتقار الاجتماعي الذي لا يخلو من دوافع سياسية للسلطات المحلية في نجد إطاره الشرعي، فالعراق تحديدًا هي أرض الفتن المشرقيَّة ومنبت القرون الشيطانيَّة، تكرَّس في العقل الجمعي النجدي تحديدًا دون غيره من أقاليم الجزيرة فكرة عراق الفتن كغطاء شرعيٍّ لعراق الخكر، بمعنى تغليف الاحتقار الاجتماعي بسبب شرعي.

كان لتخوفات آل سلول وحلفائهم من "البلاعمة" في نجد من العراق المائج بالأحزاب الثورية، كالقوميين والشيوعيين والبعثيين في ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم، والذين لا يتركون مناسبة إلا ويسمون آل سلول بالرجعية، ويتهدَّدون ملكهم؛ سببًا في نشر تلك الصور النمطيَّة الاجتماعيَّة والدينيَّة، لتكوين جدار حاجز بين أبناء الجزيرة وتلك الأفكار، مستغلين القواعد الاجتماعية النجدية الصارمة وخضوع أهل نجد المتميز للدِّين.

لم يمنع ذلك من انتشارِ القوميَّة والشيوعيَّة والاشتراكيَّة والبعثيَّة في مدن، كحايل وعنيزة مثلًا في نجد، ولكنَّه ساهم بشيوع النفاق، فكان الشيوعيُّ النجديُّ يصلي في المسجد جماعة رغم إلحاده، وكان ذلك أخفَّ الشرور لآل سلول، فالنفاق عندهم أفضل من الجهر والتحريض.

إنَّ لهذه الفوبيا من "العراق الهكري" المتراكمة في العقلية النجدية تحديدًا من زهاء القرن؛ أثرًا واضحًا في عداء الدولة الإسلامية اليوم.

مارتن لوثر العراقي في مواجهة الكنيسة النجديَّة:

من المعلوم أنَّ احتكارَ الموارد سببٌ من أسباب حصول الثراء والنفوذ والسلطان، لذا كان للإسلام موقفٌ حاسمٌ في مواجهته (بئر رومية مثلًا)، فالاحتكار عمليَّة وضِيعة، قائمة على ابتزاز الإنسان في ضروريات حياته دون وجه حقٍّ، بل بسندٍ من قوةٍ غاشمة، والإنسان لا يقتصر في تكوينه على الأمعاء فقط، فبجوارها يستقر القلب والعقل، والأهمُّ الروح، ولهم كما لأمعائه ضرورات لازمة لحياة الإنسان، أهمها الدِّين، ثم الجماعة قبيلةً كانت أو حزبًا أو دولة، المهم أن تكون جماعة قوية موفِّرة لاحتياجاته.

احتكار الضروريات المادية والمعنوية من حبَّة القمح إلى الدِّين؛ كان الركيزة الأساسية لسلطة الكنيسة الكاثوليكية التي حكمت أوروبا لقرون، حتى برز لها "مارتن لوثر" الذي كانت أولى مطالبِه في مواجهة الكنيسة ترجمة الإنجيل للُّغات المحليَّة من اللغة اللَّاتينية لكسر احتكار الكنيسة له.

كانت الكنيسةُ ونتيجة لاحتكارها الإنجيل؛ مصدرَ التشريع كالبرلمانات اليوم، وكان من الطبيعي أن يشرِّع "البابا" بِهواه، ودون أي أصول تشريعية تضبط أعماله، فقد يصدر أمرًا يخالف به سابقه من الباباوات أو قراراته هو السابقة.

بظهور "مارتن لوثر" –فقيه البروتستانت المعارضين– انهارت الكنيسة الكاثوليكية كسلطة دينيَّة ودنيويَّة، وكان البديل الطبيعي العلمانية الإلحادية، والعجيب في الأمر أنَّه قتلهم بسيفهم (الدِّين).

منذ ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الكاشفة، والذي طلب العلم في بدايته ونهله من "عراق الفتن" -كما يحلو لأحفاده من البلاعمة أن يسموه-؛ لا أغالي إن قلت إنَّ وجه العالم تغيَّر، وما عليك سوى الاطِّلاع على التقارير البريطانيَّة لتعلم هذه الحقيقة.

تأثَّرتْ كثيرٌ من الأقطار بهذه الدعوة المباركة، وكان من ثمارها -مثلًا لا حصرًا- الحركة السنوسيَّة في ليبيا، التي أشعلت أفريقيا جهادًا كما فعل تنظيم القاعدة في زمن الشيخ أسامة بالعالم، قبل أن يرتكس بأوحال الانتكاسات في زمن الظواهري.

وبما أنَّه لا دافع لسنن الله، جرى على هذه الدَّعوة من التسلُّق والاستثمار ما جرى على غيرها من الدعوات الإصلاحيَّة، وتحقَّقت في مدَّعي سدنتها نبوءة رسولنا باتِّباع سنن من قبلنا، "فكُثلكت" دعوة الشَّيخ، وتنازعها باباوات "المطازيز والمثلوثة"، واحتكرها "حنا هل التوحيد وأنتم له أجناب"، وكان لا بدَّ لزامًا أن تكون صكوك الغفران السلفية ممهورةً بأختام نجديَّة، كيما تكونَ نافذةَ الصلاحية -ولا حول ولا قوة إلا بالله-.

إنَّ هذا الاحتكار كما كان ضرورةً لاستمرار الكنيسة الكاثوليكية؛ كذلك هو ضرورة لاستمرار الكنيسة النجدية المتحالفة مع بني حنيفة السعوديين، فكلاهما ضامنٌ استمرارَ الآخر، أم نسيتم "كتاب يهدي وسيف ينصر"؟ يقتضي هذا ضرورة مواجهة أيِّ تهديد لهذا الاحتكار الضامن لاستمراريتهم، وأنَّ أي محاولة لكسره ينبغي أن تواجه بقوة وفي مهدها؛ كإنشاء الصحوات مثلًا.

لقد كان لهجرة الصادقين من أبناء الجزيرة للعراق، وأفغانستان قبلها هربًا من بطش الكنيسة النجديَّة؛ دورٌ فاعلٌ في نقل التراث السلفيِّ الحقيقيِّ، وتحويله لواقع عمليٍّ مُعاش، والعجبُ كلُّ العجب أنَّ رسائل كالدُّرر السَّنِيَّة تُتلى في وطنها الأم -نجد- تلاوةً فقط، وتطبَّق في مناطق سيطرة الدَّولة الإسلاميَّة، بل إنَّ المضحك المبكي أنَّ كثيرًا من قارئيها يشهدون على أنفسهم كلَّما تصفَّحوها بالردَّة وهم لا يشعرون، وبيراع أجدادهم.

هذا الانفصالُ بين الواقعِ والتنظيرِ في الكنيسة النجديَّة؛ لم يوقعها في حرج لعدم وجود أيِّ دولة غير السلوليَّة تدَّعي رفعَ الرَّاية السَّلفيَّة، لأنَّه -وبكل بساطة- ستتمُّ المقارنة بين الدَّولتين، وسينكشف عوار إحداهما ولا بدَّ.

هذا بالضبط ما قامت به الدَّولةُ الإسلاميَّةُ إثرَ إعلانِ قيامِها، والذي كان أولى خطواتِ كسر احتكار السلفيَّة، بمعنى أنَّ أجراسَ الرياض قرَعت نداءَ بدايةِ النهاية، حين انتصب رمحُ اللهِ العراقيُّ، مواجهًا قرنَ الشيطانِ النَّجديَّ، ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف: 21].

ملاحظة: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكرَ النبيُّ ﷺ فقال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي نَجْدِنَا** -فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ- **هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**»[21].

ساق الخطيبُ في تاريخ بغداد مقالة عمر الفاروق: "أهل العراق كنز الإيمان، وجمجمة العرب، وهم رمح الله عز وجل، يحرزون ثغورهم، ويمدون الأمصار"[22]، وزاد الراوي: "فأبشروا فإن رمح الله لا ينكسر".

الخاتمة: اللهم انصر أميرَ المؤمنين أبا بكر البغدادي، اللهمَّ وفِّق وزراءَه وولاتَه على الأمصار، واحفظ اللهمَّ جندَه البواسل. دولةُ الخلافة باقيةٌ، باقيةٌ، باقيةٌ، وتتمدَّد.

كتبه:

عبدالله القيسي

الأحد 28 **شوّال** 1435 **هـ** - 24 **أغسطس** 2014 **م**

(21) أخرجه البخاري (6/ 2598) برقم 6681.

(22) تاريخ بغداد (1/ 25).

الفهرس: